ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

النخب الجزائرية في العهد الفرنسي وتحقيق التراث الجزائري
عائلة ابن أبي شنب في ضوء المجلة الإفريقية نموذجًا

أ.د. هلايلي حنيفي
أستاذ التعليم العالي ومدير مختبر البحوث والدراسات الاستشرافية في حضارة المغرب
جامعة جيلالي ليابس – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

تحاول هذه الدراسة إبراز مساهمة عائلة ابن شنب الجزائرية في تحقيق التراث الجزائري خلال الفترة الاستعمارية. كما ترتكز على ثلاثة شخصيات محورية هي: محمد والرشيد وسعد. ساهم هؤلاء بـ (٢٢) دراسة في مختلف حقوق المعرفة، امتاز محمد ابن شنب الوالد من فرض سلطته العلمية في أوساط النخبة الفرنسية الاستعمارية من خلال المشاركة في التدريس بمدارسها وجامعة الجزائر، حيث أصبح أستاذًا رسميًا بقرار رئاسي منذ العام ١٩٢٤، كما مكنته شخصيته العلمية ومعرفته الواسعة باللغات الشرقية والغربية في المشاركة في عديد ملتقيات الاستشراق العالمي تحت المظلة الفرنسية. كرس ابن شنب حياته في تحقيق التراث الجزائري والمغاربي رفقة ألمع وجوه الاستشراق الفرنسي خلال الفترة الاستعمارية، أمثال رونيه باصيه والإخوة مارسيه، وألفرد بيل. وقد عاب عليه المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله، بأنه لم يشارك في التعريف بالحركة الوطنية رغم تمكنه من المعرفة والدرجة المرموقة التي وصل إليها في حقل الثقافة الفرنسية، كما أنه لم يشارك هموم أمته في الجزائر خلال فترة النشاط الإصلاحي الذي شهدته الجزائر مع مطلع القرن العشرين في إطار الحركة الصلاحية والاستقلالية. وعلى الرغم من هذه المطبات فإن عائلة ابن أبي شنب استحقت شعار علماء جزائريون يقاومون بلغة المحتل من خلال: التكوين، التدريس، النشاط العلمي، ثقافة مزدوجة، حضور فكري مميز، تحقيق تراث الجزائر.

بيانات الدراسة:
تاريخ استلام البحث: ٢١ يناير ٢٠١٧
تاريخ قبـول النشـر: ١٦ مايو ٢٠١٧

كلمات مفتاحية:
الجمعية التاريخية الجزائرية، المجلة الإفريقية، التراث العربي الإسلامي، التراث الجزائري، الاستعمار الفرنسي

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0053277

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
هلايلي حنيفي. "النخب الجزائرية في العهد الفرنسي وتحقيق التراث الجزائري".- دورية كان التاريخية.- السنة الحادية عشرة- العدد الواحد والأربعون؛ سبتمبر ٢٠١٨. ص١٣٨ – ١٤٩.

مُقَدِّمَةٌ

من المؤكد أن الفترة ما بين (١٨٨٠-١٩٠٥) تعتبر العصر الذهبي للمستشرقين الفرنسيين في الجزائر وهو العهد الذي كلل بانعقاد المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين العالميين في شهر أبريل سنة ١٩٠٥ بمدينة الجزائر، والذي حضره خمسمائة شخص برئاسة مدير المدرسة العليا بالجزائر رينيه باصيه (René Basset). ولم يحضر من المشرق العربي غير: محمد فريد وعبد العزيز جاويش ومحمد سلطان. وحضره جزائريون أمثال محمد ابن أبي شنب وعبد الحليم بن سماية وشعيب بن علي.

ومن الصعب أن نعدد أعمال المستشرقين في الجزائر في هذه الدراسة، إلا إذا بحثا عن مجالات اهتماماتهم التي تصب في النواحي التالية: اللغة المعاجم، اللسانيات النقوش والآثار التاريخ الديني تحقيق النصوص التراثية والترجمة، الأدب والتاريخ، العلوم والجغرافيا والفقه الأنثروبولوجيا والفلكلور. اهتم المستشرقون بالمخطوطات العربية والبربرية الجزائرية فحققوا منها البعض وكلفوا بعض مساعديهم من الجزائريين بتحقيق البعض منها. كما اشتركوا في الترجمة والتحقيق معًا. وبفضل الجمعية التاريخية الجزائرية (١٨٥٦) وترسها الثقافي المتمثل في المجلة الإفريقية (١٨٥٦-

١٩٦٢) استطاع بعض الجزائريين من الولوج في عالم الكتابة بالفرنسية ضمن كوكبة من ألمع المستشرقين الفرنسيين.

تأسيس "الجمعية التاريخية الجزائرية" ولسان حالها "المجلة الإفريقية"

بتشجيع من أعلى هرم في السلطة وهو وزارة الحربية بالجزائر العاصمة، يقوم "أدريان بربروجر" مع ثلة من الضباط السامين في الجيش الفرنسي وعدد من المستعربين الفرنسيين بتأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية بعد مرور ستة عشرة عامًا على احتلال الجزائر. ولقد جاء قرار إنشاء هذه الجمعية في سنة ١٨٥٦م بحسب "بربروجر" نفسه بعدما فشلت تجارب الدوريات والصحف التي بدأت في الصدور مع بداية الاحتلال في إعطاء الصورة الحقيقية للبحث العلمي، يقول بربروجر: «لقد أسهمت هذه الدوريات في إعطاء لمحات عن البحث العلمي في هذا البلد، غير أن النتائج المتوصل إليها لم تكن منظمة تنظيمًا مُحكمًا يؤسس لقواعد بحث علمي حقيقي وهو الأمر الذي دفعنا في الجمعية التاريخية الجزائرية إلى إنشاء "المجلة الإفريقية"».

من الأهداف التي سطرتها الجمعية التاريخية في برنامجها:

- جمع ودراسة والتعريف عبر النشرات المتخصصة بكل الأحداث التي تتصل بتاريخ إفريقيا، وخصوصًا تلك المتعلقة بالجزائر منذ العهد الليبي (العصر القديم) إلى غاية فترة حكم الأتراك والوجود الفرنسي.
- تنطلق الجمعية في مفهومها للتاريخ من بُعده العام الذي يشمل: التاريخ بمعناه الضيق -اللغات -الجغرافيا -الفنون -وعلوم إفريقيا الشمالية.
- تستخدم الجمعية كل الوسائل المتاحة للحفاظ على المعالم التاريخية الثابتة (أقواس النصر، البنيات، الأعمدة..) وبالأخص المعالم الأخرى المتنقلة.

يتكون أعضاء الجمعية التاريخية من فئتين مختلفتين هما: فئة من الباحثين والمستعربين وفئة أخرى من العسكريين.

الفئة الأولى:

- أدريان بربروجر محافظ مكتبة ومتحف الجزائر رئيسًا.
- بريزنيي Bréznier: أستاذ كرسي اللغة العربية بالجزائر.
- ديفوس Devoulx: مدير الأرشيف العربي بأملاك الدولة (Domaine).

الفئة الثانية:

- البارون دي سلان Baron de Slane المترجم الرئيس بالجيش وملحق الحكومة العسكرية، نائبًا لرئيس الجمعية.
- الماريشال كونت راندون Randon الحاكم العام، مؤسس الجمعية التاريخية رئيسًا شرفيًا.
- الكولونيل دي نوفو De neveu النائب الثاني لرئيس الجمعية.

أهداف المجلة الإفريقية

على غرار "المجلة العلمية" "Journal asiatique" "جورنال أزياتيك" التي بدأت في الصدور في ١٨٢٢م عن الجمعية الآسيوية، ارتأت "الجمعية التاريخية الجزائرية" إصدار مجلة "علمية" تبحث في تاريخ شمال إفريقيا على وجه التحديد، وبالأخص في كل من يتعلّق بتاريخ الجزائر العام، وكان لها ذلك مع بداية سنة ١٨٥٦م. لكن على العكس المجلة الآسيوية التي لا تزال تصدر إلى غاية الآن، توقفت "المجلة الإفريقية" عن الظهور في الجزائر أو في الخارج بمجرد حصول الجزائر على استقلالها.

وإذا كانت أهداف المجلة المعلنة هي الوصول إلى «أن تُصبح مكتبة تاريخية إفريقية حقيقية تُكمِّل ما يقوم به علماء أوربا من بحوث حول تاريخ إفريقيا والمستعمرات». إن ما لم يُعلن عنه هو كتابة تاريخ المنطقة من منظور استيطاني يُجرّد الجزائريين من تاريخهم، وذلك باتباع الخطوات التالية المبثوثة في ثنايا الدراسات والمقالات:

- التركيز على الآثار والمنقوشات والنميّات الرومانية من أجل ربط منطقة شمال إفريقيا والجزائر خصوصًا بأوروبا اللاتينية -المسيحية. وقد ساهمت العديد من هذه الدراسات والبحوث في وضع برامج التدريس لأبناء المعمّرين والقلة المحظوظة من أبناء الجزائريين.
- التركيز بالدراسة النقدية الجارحة على كل ما هو إسلامي في الجزائر وبقية المناطق العربية والإسلامية الأخرى.
- ربط وجود العثمانيين بالجزائر والعالم الإسلامي (بالجهل والتزمت والفوضى) بل إن تاريخ المسلمين عامة والجزائريين خصوصًا قد وقع في قبضة المقص الاستعماري، فراح دارسو "**المجلة الإفريقية**" -أو جزء منهم على الأقل -ينددون بما قام به المسلمون تجاه المسيحيين من سبي وحبس خلال الفترة التي أعقبت سقوط بعض الإمارات الأندلسية في يد المسيحيين؟؟
- إظهار صورة الفرنسي والمدنية الأوربية على أنهما يَشكّلان الخلاص للجزائريين والمسلمين عامة... وهو المبدأ الأساسي الذي اعتنقه السانسيمونيون بشكل عام.

١. التشجيع على استخدام اللهجة الجزائرية العامة في الكتابات الأدبية عامة بنشر الكتب التي تصب في مواضيع إباحية.

دراسات

الإسهامات العلمية لعائلة ابن شنب في ضوء المجلة الأفريقية

دام نشر وطبع المجلة الإفريقية مائة وست سنوات (في مائة وستة مجلدات) ضمن أربع مائة وإحدى وسبعين عدداً. احتوت موادها على كل ما يمت بصلة إلى التاريخ بمعناه العام: الآثار، التاريخ بعصوره المختلفة، الجغرافيا، اللغات وغيرها. غير أن النصيب الأوفر فيها كان في باب الآثار، حيث قام دارسو المجلة بكل ما من شأنه أن يخدم نظرتهم إلى التاريخ والحضارة، فقاموا بالإشارة والتصنيف ودراسة وترجمة كل ما يمت بصلة إلى ذلك.

عالجت المجلة المحاور والملفات التالية: تاريخ، أثار، اتنوغرافيا، ثقافة شعبية، مونوغرافية -أداب ولغات، عقائد وديانات، تراجم ورحلات، اقتصاد وجغرافيا، تربية وتعليم، فقه وتشريعات، تقافة وفنون، علم اللغات، هندسة وعمارة، علم الاجتماع، زراعة، مناهج، الأرصاد الجوية وعلاقتها بالشعوب. وجاءت الدراسات الأثرية والتاريخية في المرتبة الأولى من عموم ما نشر في المجلة التي تبنت الملامح المنهجية التالية: تأبينات، مراسيم، تقارير، بيبلوغرافيات، نشريات-قراءة كتب، تعليقات مراسلات، ملاحظات.

تصدر بربروجر المرتبة الأولى في عدد النشريات بـ (١٣٦) مقال، ولويس رين بـ (٦٧) مقال، ودي غرامون بـ (٦٣) مقال، ودوفولكس بـ (٥٨). أما ابن أبي شنب فنشر (١٥) مقالاً، وابنه سعد (٥) دراسات، وابنه الثاني الرشيد بـ (٤) مقالات.

انطلاقًا من كل هذه المقاربات سنبرز أحد النخبويين الجزائريين خلال الفترة الاستعمارية وتتمثل في **مساهمة عائلة ابن شنب من خلال أفرادها محمد ابن أبي شنب (١٨٦٩-١٩٢٩)، وسعد ابن أبي شنب (١٩٠٧-١٩٦٨)، والرشيد ابن أبي شنب** (١٩١٥) في حركة التأليف باللغة الفرنسية في أكبر وأبرز المجلات الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية.

محمد ابن أبي شنب (١٨٦٩-١٩٢٩)

يُعَدّ محمد بن أبي شنب وابنه سعد من الشخصيات الجزائرية ذات التكوين المزدوج الفرنسي والعربي التي فرضت نفسها على الساحة العلمية والأدبية في الجزائر المستعمرة خلال القرن التاسع عشر. فبخصوص محمد فإنه عبقرية مبكرة، ميزه سبقه إلى الإلمام بعلوم وثقافة عصره إضافة لتمسكه بأصالته وهويته. ولشيخ المؤرخين الجزائريين أبي القاسم سعد الله موقفين إزاء شخصية ابن أبي شنب وهي تحتاج منا كأكاديميين إلى التعليق والتحليل بما يخدم تراثنا وانصاف علمائنا، ففي الموقف الأول (١٩٩٦) يرى أن ابن أبي شنب كان يعي التاريخ جيدا، فقد تحدى الاستعمار بعلمه، وكان شيخا لمستشرقيه فتحدى إدارة الاحتلال بلباسه العربي الأصيل وهو يؤكد بصمت ضد سياسة الاندماج. أما أفكاره ومواقفه فتمتد زهاء إنتاج فكري طوال ثلاثين سنة. أما الموقف الثاني (١٩٧٩) فعند التعليق على أعمال ابن أبي شنب من طرف سعد الله بأنه صنيعة الاستشراق الفرنسي، أسلوبا عندما يكتب، وتحركا في دائرة التراث بما يخدم أهدافهم.

محمد بن أبي شنب إحدى الشخصيات الجزائرية ذات التكوين المزدوج الفرنسي والعربي الذي فرض نفسه على الساحة العلمية والأدبية في الجزائر المستعمرة خلال القرن التاسع عشر. وهو إلى جانب ذلك عبقرية مبكرة، ميزه سبقه إلى الإلمام بعلوم وثقافة عصره إضافة لتمسكه بأصالته وهويته. فكان تكوينه الأول تقليدي بمسقط رأسه المدية حيث دخل المدرسة الفرنسية وحصل في سن مبكرة سنة ١٨٩٨ على شهادة مدرسة المعلمين ببوزريعة في اللغة الفرنسية. ويُعَدّ أول عربي ينال درجة الدكتوراه، وهو الأمر الذي أهله ليعين سنة ١٩٢٤ في منصب أستاذ في كلية الآداب بجامعة الجزائر. تميز باطلاعه الواسع على العديد من اللغات والثقافات، وهو ما يتجلى من خلال إنتاجه الغزير الذي فاق الخمسين بين مقال وكتاب، حيث اختص بالدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية وتحقيق التراث.

يعتقد المؤرخ أبو القاسم سعد الله، أن ابن أبي شنب كان يعي التاريخ جيدا، فقد تحدى الاستعمار بعلمه، وكان شيخا لمستشرقيه فتحدى إدارة الاحتلال بلباسه العربي الأصيل وهو يؤكد بصمت ضد سياسة الاندماج. أما أفكاره ومواقفه فتمتد زهاء إنتاج فكري طوال ثلاثين سنة[1] .

حياته ونشاطه العلمي

على الباحث أن يعود إلى تراث الرجل الفكري ليعرف من هو ابن أبي شنب؟ فإذا استعرض الباحث قائمة مؤلفات ومساهمات ابن أبي شنب بدا له شخصية كبيرة عاشت في عصر جدير بها وجديرة به، فهو من الجزائريين القلائل الذي حصلوا على الدكتوراه في الأدب العربي في عهد الاحتلال الفرنسي وأول مَنْ تأستذ في كلية الآداب بجامعة الجزائر التي كانت حكرًا على الفرنسيين، وأول من دخل المجامع اللغوية من الجزائريين وحضر مؤتمرات المستشرقين العالمية كمحاضر ومساهم بدراسات جادة، وتخرج على يديه جيل من المستشرقين الفرنسيين[2]. محمد بن العربي بن محمد أبي شنب الجزائري الأديب الباحث، أحد أعلام المغرب العربي النابهين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وأحد رواد النهضة العربية الحديثة.

ولد ابن أبي شنب في منطقة عين الذهب بالمدية جنوب مدينة الجزائر (١٢٨٦ -١٣٤٧هـ/ ١٨٦٩ -١٩٢٩م)، ونشأ في ظل الاحتلال الفرنسي، حفظ القرآن الكريم قبل أن يلتحق بمدرسة المدية الثانوية، ليتعلم اللغة الفرنسية والعلوم الغربية وفق المنهج المفروض من قبل سلطات الاحتلال، ثم انتسب إلى دار المعلمين ببوزريعة قرب العاصمة، وتخرج منها بعد عام حاصلا على إجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية. وأمضى عشر سنوات في هذه المدارس، شغل فيها بالتعليم وتحصيل علوم اللغة العربية واستدراك ما فاته منها، فقرأ النحو والصرف والعروض، وشيئا من علوم الدين، وتقدم بما حصله إلى مدرسة الآداب العليا، ونال إجازتها، فتولى تدريس آداب العربية في مدرسة الآداب بمدينة قسنطينة، وهي إحدى المدارس الحكومية الرسمية (Medersas)[3]، وبناء على إحصاءات ١٩١١-١٩١٢ فإن مجموع من كانوا بالمدارس الشرعية الثلاث، هو ١٧٦ تلميذ موزعين كالتالي:

- مدرسة الجزائر: ٨٣ تلميذًا.
- مدرسة قسنطينة: ٥٤ تلميذًا.
- مدرسة تلمسان: ٣٩ تلميذًا.

وقد تضاءل عدد التلاميذ في هذه المدارس إلى ١٤٣ سنة ١٩٣١[4]. وفي سنة ١٨٩٦ نشرت جريدة المبشر لسان الحكومة الفرنسية، قائمة بأسماء المعلمين في المدارس الشرعية الثلاث من بينهم مستشرقون وجزائريون، واليك بعض الأسماء:

- مدرسة الجزائر: (عبد الحليم بن سماية، أميل فليكس غوتييه، دليباش ديلفان).
- مدرسة قسنطينة (ميلود بن الموهوب، عبد القادر المجاوي، موتيلانسكي).
- مدرسة تلمسان (جورج مارسيه، أحمد بن البشير)[5].

وبعد أن أمضى في عمله الجديد أربع عشرة سنة، ارتقى إلى القسم الأعلى من هذه المدرسة، فأقرأ فيها النحو والأدب والبلاغة والمنطق. وفي أواخر عام ١٩٢٢م، تقدم إلى كلية الآداب الجزائرية ببحثين للحصول على درجة الدكتوراه، هما: «حياة أبي دلامة وشعره» و«الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية»، فمنح درجة الدكتوراه وكلف بالتدريس في المدرسة العربية-الفرنسية بمدينة قسنطينة ثم الجزائر، ثم انتقل منها إلى كلية الآداب. ومن أساتذته الذين أثروا في حياته العلمية (René Basset) رينيه باصيه (١٨٥٥-١٩٢٤) كبير المستشرقين الفرنسيين ومدير مدرسة الآداب في الجزائر حوالي أربعين سنة وهذا منذ ١٨٨٠. كان باصيه في خدمة الاستشراق الفرنسي في الجزائر وسخر لخدمة الإدارة الاستعمارية بكل حرص. وجند الفرنسيين والجزائريين معًا ووظفهم للتدريس والبحث والتأليف والنشر، وكانت الحكومة العامة تسانده بالمال للقيام بأبحاثه وأبحاث تلاميذه وبعثاتهم ورحلاتهم.

توجته الإدارة الاستعمارية سنة ١٩٠٥ برئاسة مؤتمر المستشرقين الدولي ١٤ في الجزائر. كان باصيه يتقن عدة لغات فعمل أستاذًا بمدرسة الآداب بالجزائر سنة ١٨٨٥ ثم عين مديرًا لها سنة ١٨٩٤، ليصبح عميد كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة ١٩١١. ترك إنتاجًا غزيرًا لاسيما في الدراسات العربية والبربرية وقد ترجمت أعماله تكريمًا له من طرف تلاميذه وأصدقائه[6].

جمع ابن أبي شنب بين الثقافتين العربية والأوروبية، وأتقن اللغتين العربية والفرنسية، وألم باللغات الأجنبية. وحسب العلامة الجزائري عبد الرحمن الجيلالي فإن ابن أبي شنب كان مترجما من الطراز الأول بإتقانه لتسع لغات: الفرنسية، الإيطالية، الإسبانية، الألمانية، اللاتينية، التركية، العبرية، العربية والفارسية.[7]

اكتسب ابن أبي شنب احترام المثقفين العرب والأوربيين وتقديرهم، فانتخب في عام ١٩٢٠م، عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، وحاز على عضوية أكاديمية العلوم الاستعمارية بباريس. وفي سنة ١٩٢٢م قلدته حكومة فرنسا وسام فارس جوقة الشرف تقديرًا لجهوده في التقريب بين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية. وكانت له مكانة كبيرة عند المستشرقين، يرجعون إليه فيما يشكل عليهم، ويطلقون عليه «ابن شنب» وينادونه «شيخنا». أمضى ابن أبي شنب حياته في العمل العلمي، فكان ينشر البحوث القيمة في الدوريات العربية والأجنبية، ويضع المؤلفات باللغتين العربية والفرنسية، ويخرج كنوز التراث العربي من خباياها، فحقق عددًا كبيرًا من كتب التراث في اللغة والنحو والأدب والتاريخ والتراجم، فضلا عن البحوث الميدانية في التراث الشعبي الجزائري واللهجة الجزائرية. وفي سنة ١٩٢٤م، عُيّن الشيخ ابن أبي شنب أستاذًا رسميًا بكلية الآداب في العاصمة، كما انتخبه المجمع العلمي الاستعماري بباريس عضوًا عاملاً به.

انتخبته هيأت إدارة مجلس الجمعية التاريخية الفرنسية كاتبًا عامًا بها. وقد ترك ابن أبي شنب بحوثًا كثيرة منشورة في الدوريات العلمية الرصينة، الشرقية والغربية، وعددا كبيرا من المصنفات المختلفة والمفيدة في الدراسة الأدبية والتحقيق والفهرسة والبحث الميداني باللغتين العربية والفرنسية. من مصنفاته المطبوعة كتاب «تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب»، وكتاب «أبو دلامة وشعره»، وكتاب «ما أخذه دانتي من أصول إسلامية» مطبوع بالفرنسية، وكتاب «الأمثال العامية الدارجة في المغرب»، ثلاثة أجزاء، وكتاب «الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية»، وكتاب «طبقات علماء إفريقية». وأخرج شرحا لنظم

مثلثات قطرب، وشرحًا لكتاب «جمل الزجاجي»، طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار، وهو من تأليف الشيخ محمّد العربي المشرقي الغريسي، وصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان ابن هود النبي مع تعليقات عليه، شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت ١٩٢٦م، لألفاظ الطليانية الدخيلة في لغة عامة الجزائر، (مخطوط)، وكتاب «عنوان الدراية في علماء بجاية» للغبريني، وكتاب «نزهة الأنظار» للورثيلاني، وكتاب «البستان في علماء تلمسان».[8]

كان لابن أبي شنب نشاط واسع تجاوز حدود الجزائر، حيث كانت له مراسلات مع علماء عصره، ومقالات نشرت بمجلة المجمع العلمي في دمشق، وكذلك المجلة الإفريقية (Revue Africaine) وهي نشرية اختصت بنشر أعمال (الجمعية التاريخية الجزائرية) والتي صدر عددها الأول سنة ١٩٥٦.[9]

المساهمة العلمية في نشر التراث العربي الإسلامي

الجزائر واحدة من البلدان، التي اهتمت بنشر التراث منذ أنْ عرفت الطباعة. ومن هذه الأعمال المنشورة في وقت مبكر: كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، لابن خلدون في (١٣٢١هـ/١٩٠٣م)، ورحلة الورثلاني عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، وعنوان الدراية فيمن عرف في المئة السابعة ببجاية، للغبريني سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، وغيرها كثير". ومن المبرّزين في هذا الميدان العلامة محمد بن أبي شنب الذي كان لوجوده "في كلية الآداب بالجزائر أثر ظاهر في دفع حركة نشر التراث خطوات واسعة. والقائمون بهذه الحركة هم المستشرقون، الذين تكفلوا بتحقيق بعض النصوص التراثية، وأسندوا تحقيق بعضها الآخر إلى باحثين جزائريين، واشترك الفريقان في ترجمة وتحقيق نصيب من هذه الذخائر وتحقيقها أيضًا.

لقد غلب البعد التراثي على كتابات ابن أبي شنب وهذا ما نلاحظه في جميع دراساته المنشورة في المجلة الإفريقية التي سنستعرضها زمنيا مع شرحها تسهيلا للقارئ:

١-استعراض المؤلفات العربية، المحرّرة أو المنشورة من طرف المسلمين ما بين (١٣٢٢-١٣٢٣هـ/١٤٠٤ -١٤٠٥م)[10]:

تضمن عرضًا للمؤلفات العربية المنشورة خلال سنتين (١٩٠٤-١٩٠٥) في البلاد العربية، مع تحفظ فيما يخص ما نشر في الهند وفارس وتركيا نظرًا لتأخر وصولها إلى مدينة الجزائر حيث يستغرق ذلك بضع سنوات. قسم النشر حسب البلدان إلى خمسة أقسام: القاهرة، بيروت، تونس، الجزائر، وفاس. وأشار ابن أبي شنب إلى احتكار الحكومة المغربية لعملية النشر لدواعي سياسية، حيث يوجد ناشر واحد هو "ماء العينين" مرابط شنقيط، وتوزع منشوراته في المساجد الرئيسة للمملكة. ولاحظ الدعم الذي تقدمه الحكومة الفرنسية في الجزائر للناشرين الفرنسيين في هذا المجال. كما يعترف في اطلاعه على الكثير من هذه المؤلفات إلى مجهودات السيد أحمد بن مراد التركي صاحب المكتبة التي تقع في: ١٣ شارع راندون، هذه المكتبة المعروفة بـ: "الثعالبية"، وهي مكتبة رائدة لها دور كبير في نشر وطبع التراث العربي في الجزائر. واعتمد ابن أبي شنب في عرض الكتب إلى الطريقة التالية: تقديم عنوان الكتاب بالحروف العربية، يتبعه اسم مؤلفه بالحروف اللاتينية، وعدد أجزائه وصفحاته بحسب الطريقة المتداولة. والجدول التالي يوضح لنا عدد الكتب المطبوعة:

جدول رقم (١) المطبوعات العربية ما بين سنتي ١٩٠٤-١٩٠٥

البلد	المطبعة	عدد الكتب
القاهرة (مصر)	بولاق	٤٠
تونس	//	٠٥
بيروت (لبنان)	//	٠٢
الجزائر	الثعالبية	٠٢
س (المغرب)	//	٠٣

٢-انطباعات بيداغوجية إسلامية: تربية وتعليم الأطفال[11]

في هذا المقال أشاد ابن أبي شنب بدور علماء الإسلام في المساهمة في تأليف الكتب التي تتناول تربية وتعليم الأطفال، واستدل بآيات من القرآن الكريم. وقام بترجمة مخطوط موسوم: "بخاتمة في رياضة الصبيان وتأديبهم وتعليمهم وما يليق بذلك." وهي عبارة عن رسالة الإمام أبي حامد الغزالي، وقام بترجمتها إلى اللغة الفرنسية.

٣-ابن مسايب من تلمسان إلى مكة في القرن ١٨م[12]

ترجم ابن أبي شنب في هذه الدراسة قصيدة شعرية من اللغة العربية إلى الفرنسية مع شرح واف لها. وهي تخص المديح النبوي وأدب الرحلة ومديح الصالحين. والمقطوعة الشعرية لصاحبها محمد ابن مسايب التلمساني من شعراء الجزائر خلال القرن الثامن عشر. جاءت القصيدة في ١٢٠ بيتًا، وقد ذكر ابن أبي شنب بصعوبة تحدي تاريخ مولد ووفاة الشاعر مع وجود بعض الإشارات (١١٥٠هـ/١٧٣٧م-١١٦٠هـ/١٧٤٧م-١١٧٠هـ/١٧٥٦م) والمهم في الأمر أن الشاعر مدفون بمقبرة سيدي محمد السنوسي بتلمسان، وبمعاينة الضريح تم تصحيح اسمه إلى ابن المسيب، وشكر ابن أبي شنب السيد قين (Guin) على المعلومات التي قدمها له بخصوص الشاعر.وإليك بعض المقاطع من القصيدة:

يالورشان أقصد طيبه *** وسلم على الساكن فيها
نرسلك من باب تلمسان *** سر في حفظ الله مأمان

٤-أصل تسمية الشاشية[13]

لعل ذكر كلمة شاشية تذهب بنا إلى ما كان يلبس فوق الرأس عند عامة سكان المغرب العربي وبلاد الشام وغالبية الأتراك. وحسب دي ساسي (De Sacy)، ودوزي (Douzy) في كتابه المعجم المفصل لأسماء اللباس عند العرب، فإن كلمة شاشية محرفة من كلمة شاش وهي عبارة عن عمامة تعصب على الرأس. والواقع أن تصفح ما ذكره البكري في كتابه المعجم ما ستعجم، وياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، يتضح أن كلمة الشاشية مأخوذة من أصلها الجغرافي وهي بلاد الشيشان بأسيا الصغرى، ومما لا شك فيه أن تنوع مصادر ابن أبي شنب في استقاء معلوماته وبالاعتماد على الثنائية بين كتابات المسلمين والمستشرقين هي التي مكنته من الوصول إلى نتائج معرفية صحيحة في الاستنطاق التاريخي لأسماء الكلمات.

٥-ترجمة قصيدة الشيخ سيدي محمد بن إسماعيل[14]

ترجم ابن أبي شنب قصيدة شعرية بـ (٣٣) مقطع لصاحبها الشيخ محمد بن إسماعيل من مواليد مدينة الجزائر (١٨٢٠-١٨٧٠). جاء محتوى القصيدة يمجد انتصارات الدولة العثمانية على روسيا القيصرية في حرب القرم(١٨٥٤)، وهي من مراحل المسألة الشرقية حيث دفعت بالعلاقات الدولية نحو التأزم وغيرت التحالفات السياسية، فوقفت انجلترا وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية للدفاع عن سلامة أراضيها ضد روسيا[15].

٦-موجز حول مخطوطين حول شرفاء زاوية "تامسلوهت"[16]

يقدم لنا ابن أبي شنب في هذه الدراسة مخطوطين عاد بهما الأستاذ إدمون دوتي (Edmond Doutté) من رحلته إلى المغرب. المخطوط الأول لمؤلف مجهول تضمن معطيات حول النسب الشريفي لبني آمغار (Les Amghar)، كما تضمن المقال تراجم مختصرة لشيوخ هذه العائلة ابتداء بإسماعيل آمغار. كما نبه بن أبي شنب إلى أن هذه العائلة أنجبت العديد من العلماء لم يذكرهم المخطوط، أما المخطوط الثاني، فيتناول (حياة سيدي أبو يعزى) لمؤلفه أبو القاسم بن محمد بن سليم بن عبد العزيز بن شعيب الشيعي الهروي التادلي، حيث يتضمن الجزء الثاني من المقال تعريفا بالمخطوط ومؤلفاته. وفصول الكتاب والمصادر الذي اعتمد عليها "التادلي" في مؤلفه. كما يعطي ابن أبي شنب لمحة موجزة عن "أبو يعزى" وزاويته، ليحيل في نهاية المقال إلى أهم المراجع عن حياته.

٧-قصيدة مهداة للنبي عليه الصلاة والسلام[17]

ترجم قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وتنسب القصيدة لأم هانئ وهي صحابية أنصارية يذكر لها المحدثون رواية أربعين حديثا، أخذ البخاري ومسلم واحد منها في صحيحيهما[18].

وإليك مطلع القصيدة التي جاءت في ٢١ بيتا:

ما للمساكين مثلي مكثري الزلل
إلا شفاعة خير الخلق والرسل
أني نزيل رسول الله ثبتت
له النبوءة عند الله في الأزل
عليك أزكى صلاة الله ما اطلعت
شمس وما سار في مدى السبل

٨-ملاحظات حول استعمال كلمة "تلّيس" و أصلها[19]

يشير في بداية المقال إلى أن المعجم العربي لا يقبل هذه الكلمة إلا تحت كلمة "تِلِيسة (tillisa)"، على وزن "فِعِيلة" مثل: "سكينة" و"قِّينة"، مستشهدًا بالعديد من المصادر (ابن حلويه، عبد اللطيف البغدادي، الحريري)، ثم يعطي دلالة الكلمة بحسب المصادر العربية والغربية، ثم يبحث زمن ظهورها. ليطرح السؤال حول أصل الكلمة: هل هي عربية؟ أم هي أجنبية وعن أي لغة أخذت؟، فيستعرض مختلف الافتراضات، ليخلص في الأخير لأصولها الإغريقية البيزنطية وهو ما يوافق طرح "الخفاجي" هذا المقال القيم، يظهر الإلمام الكبير لابن أبي شنب بعلوم وتاريخ اللغة العربية وكذلك اللغات الأخرى، كما يكشف عن سعة اطلاع.

٩-مقدمة ابن الأبار في تكملة الصلة ترجمة بالتعاون مع ألفريد بيل[20]

سارت الكتابة التاريخية الأندلسية المرتبطة بالتراجم والطبقات في اتجاه مغاير لمثيلتها في بلاد المشرق والمغرب، فقد ظهرت كتب الصلات وكتب الفهارس والبرامج، وهو ما أعطى بلاد الأندلس نوعًا من الخصوصية الفكرية في حضارة الإسلام.

لقد تسلسلت المصنفات الشهيرة للتراجم على صورة متتابعة الواحدة بعد الأخرى، ومما يلفت الانتباه لدى الباحثين في مصنفات التراجم الأندلسية أنها كانت سلسلة متصلة الحلقات، فالكتابة التاريخية لهذا النموذج (الصلات والتذييل) الذي أصبح حلقة متصلة في كتب التراجم الأندلسية والمغربية، اتسم بإعطاء "هوية متصلة لفئات العلماء والفقهاء"، وتعود أصول هذا النموذج إلى أبي الوليد بن الفرضي (٣٥١-٤٠٣هـ/٩٦٣-١٠١٣م) الذي ذهب ضحية الفتنة البربرية بقرطبة. وهذا ما جعله يحظى بعمليات تذييل وإيصاله بكتب أخرى على فترات متتالية.

لقد كانت عملية التذييل والإيصال الأولى من إنجاز أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال القرطبي(٤٩٥-٥٧٨هـ/١١٠١-١١٨٣م) بعنوان (كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس). وقد تواصل تذييل كتب الصلة مع ابن الأبار البلنسي(٥٩٥-٦٥٨هـ/١١٩٩-١٢٦٠م) في كتابه (تكملة الصلة). أثناء تواجد **ألفرد بيل** (Alfred Bel) (1873-1945) و ابن أبي شنب بفاس مابين سنتي ١٩١٨-١٩٤١ وجدا نسخة من كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الآبار عند مكتبة الشيخ عبد الحيي الكتاني شيخ الزاوية الكتانية.

والواقع أن الكتاب تم نشره من طرف المستشرق الإسباني كويدرا (Codera) وهذا طبقًا لنسخة الأسكوريال بمدريد وهي ناقصة في أسماء التراجم من أ،ب،ج. وقد طبع الكتاب مابين ١٨٨٧-١٨٨٩. ثم قام الإسبانيين ألراكون(Alracoun) وبالنثيا (Palecia) بإكمال فهارس التكملة. وأكد كويدرا بأن ابن الأبار كتب التكملة قبل ٦٣٦هـ/١٢٣٩م لكن ابن أبي شنب وألفريد بيل صححا هذه الأخطاء من خلال الإشارات التاريخية الواردة في الكتاب، بحيث أن ابن الأبار انطلق في التأليف سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م، وبدأ في التحرير سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٩م. واستمر تأليف المصنف زهاء عشرون سنة، لم ينتهي منه سوى سنة ٦٥١هـ/١٢٥٤م. وقد طبع الكتاب بمطبعة فونتانا بالجزائر سنة ١٩٢٠: Mohammed Bencheneb, Takmilat es-sila d'Ibn El 'Abbar, texte arabe, Alger, Fontana, 1920.

١٠-قائمة بالاختصارات المستعملة من طرف الكتاب العرب[21]

تضم هذا الدراسة قائمة بأكثر من مائة مختصرًا استعملها المؤلفون العرب في كتب النحو، الفقه، الحديث والفلسفة والتاريخ والتراجم. حيث يذكر المختصر أولاً ثم الكلمة التي يدلّ عليها بالحروف العربية ويتبعها بترجمتها إلى الفرنسية مع الشرح. والملاحظ أنه اختصر الشهور القمرية أيضًا. ويُعدّ هذا العمل على صغر حجمه تقنية مفيدة لدارسي ومحققي التراث.

وإليك بعض هذه المختصرات:

جدول رقم (٢) المختصرات التي ذكرها ابن شنب

المختصرات	المدلول باللغة العربية	المدلول باللغة الفرنسية
أ.هـ	انتهى	Fin
أنا	أنبأنا	Nous a rapporté
حش	حاشية	Marge-glose marginale
ج	جمع	Pluriel
خ	نسخة أخرى	Un autre manuscrit
ب	بلد	ville
ط	طبع	édition
الش	الشارح	Le commentateur
ن	بيانه	Voici son explication
هجرية	هـ	Ere hégirienne
يقال	يق	On dit
فحينئذ	فح	Et alors
المصنف	المص	L'auteur du texte qui est commenté

١١-مقدمة ابن الأبار في تكملة الصلة المخطوط الكامل[22]

نوه ابن أبي شنب بمجهودات الشريف عبد الحي الكتاني أستاذ بجامعة فاس، إذ راسله وأمده بنسخة من مقدمة التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار وكانت ناقصة. وقد تحمس ابن أبي شنب منذ الوهلة الأولى للوصول إلى تلك الوثيقة. وإليك ما جاء فيها بعد نشرها من طرف ابن أبي شنب»: وبعد فهذا كتاب التكملة لكتاب الصلة الذي ألفه أبو القاسم بن بشكوال فواصل المنفصل وطبق في معارضة أبي الوليد بن الفرضي المفصل. وجاء بحسنة...لا جرم أنه أعاد بها من كان فانيا، وأعاد للأندلس وأهلها عمرًا ثانيا...".

١٢-العدد "ثلاثة" عند العرب[23]:

اهتم العرب بالعدد "ثلاثة" (Du nombre trois chez les arabes)، لهذا قام ابن أبي شنب بدراسة العدد (ثلاثة:٣) عند العرب والمسلمين، حيث توصل في بحثه أنه يحتل مكانة مميزة عندهم. وأشار في البداية إلى مخطوط أبي منصور الثعالبي النيسابوري (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م) الموسوم بـ: "برد الأكباد في العدد" حيث خصص فيه فصلاً كاملاً للعدد ثلاثة عند العرب، وكذلك إلى كتاب السيوطي الموسوم بـ: "الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير"، وهما المصدران الرئيسيان الذي اعتمد عليهما بن أبي شنب في دراسته، إضافة لملاحظاته الشخصية التي سجلها أثناء مطالعاته. وتوصل ابن أبي شنب في بحثه أن العدد ثلاثة عند العرب والمسلمين له مكانة الدراسات التالية: اللغة، الفقه، القرآن، الحديث، الشعر الجاهلي والإسلامي والأمثال والحكم والتاريخ.

فهرسة التراث العربي الإسلامي

عمل ابن أبي شنب في صنع فهارس المكتبات التي تحوي مخطوطات عربية سواء في الجزائر أو المغرب وهذا تحت إشراف الإدارة الاستعمارية، ولم يخرج في كل بحوثه عن المنهج العلمي الرصين، فأسدى للثقافة العربية خدمة جليلة بإخراج تراثها من ناحية، وبتصويب رأي المستشرقين فيها من ناحية ثانية.

اهتم كثيرًا بأعمال التراجم للتراث المغرب الإسلامي وهذا بالتعاون مع بعض المستشرقين وخاصة ليفي بروفنصال. ففي سنة ١٩٠٦، كلفه الحاكم العام جونار (Charles Célestin

Jonnart) (١٩٠٣-١٩١١) للقيام بمهمة فهرسة مخطوطات مساجد مكتبات الجزائر العاصمة، وهو الأمر الذي تكلل بإعداد فهرسة للمخطوطات لمكتبة المسجد الكبير بالعاصمة. ولاحظ ابن أبي شنب أن المكتبة كانت تضم خمسمائة مخطوط سنة ١٨٣٠ لم يتبقى منها في سنة ١٨٧٢ سوى ٧٢ مخطوطًا. والتوزيع التالي يوضح لنا مخطوطات المسجد الكبير بالعاصمة حسب فهرسة ابن شنب[24]:

جدول رقم (٣)
توزيع مخطوطات مكتبة المسجد الكبير
حسب تصانيف المعرفة

تصانيف المعرفة	العدد
	١٥
	٤٥
	٠٦
الفقه	٠٣
فقه حنفي	٠٥
فقه مالكي	٢٢
العقيدة	٠٢
أصول الفقه	٠٩
النحو	٠٢
المجموع	١٠٩

شارك ابن شنب مع المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال (LEVI-PROVENCAL) في فهرسة مكتبة فاس التاريخية والتي احتوت على 424 مخطوط ومطبوع طبعة حجرية في ميادين القرآن والحديث والفقه والعقيدة والنحو والأدب والشعر والتاريخ والتراجم والرحلات والتصوف والمنطق[25]. واعتمد كل من ابن أبي شنب وليفي بروفنصال في عمل الفهرسة على القواعد والتقنيات التالية:

١- ذكر اسم المؤلف.
٢- تاريخ ومكان الطبع.
٣- نوعية الطبع (حجري أو منسوخ).
٤- ذكر عنوان المطبوع.
٥- عدد المجلدات.
٦- عدد الصفحات

والجدول التالي يوضح طريقة الفهرسة والإنجاز التراثي الذي تم تحقيقه:

جدول رقم (٤)
توزيع مخطوطات مكتبة فاس حسب تصانيف المعرفة

تصانيف المعرفة	العدد
القرآن	٠٣
الحديث	٣٢
الفقه	١٠٥
العقيدة	١٤
النحو	٢٩
البيان	٠٦
العروض	٠٤
اللغة، الأدب	١٠
الشعر	٢٦
تاريخ، تراجم سيرة	٣٢
رحلات	٠٤
تصوف	٥٤
منطق	١٠
متنوعات	٩٥
المجموع	٤٢٤

ساهم ابن أبي شنب بنشاط علمي مميز في مؤتمرات المستشرقين بالجزائر ولندن وستوكهولم، وتقلد العضوية في المجمع العربي بدمشق. وأكد على حضوره العلمي في المؤتمر العالمي السادس عشر للمستشرقين سنة ١٩٠٧، بمحاضرة موسومة: "إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي" وفي سنة ١٩٢٨ كلفت كلية الآداب بجامعة الجزائر ابن أبي شنب ليمثلها في أعمال المؤتمر العالمي للاستشراق الذي انعقد بإنجلترا بجامعة أكسفورد (Oxford). كان هذا أخر نشاطاته العلمية التي دامت أكثر من خمسة وثلاثون عامًا.[26]

ترك ابن أبي شنب مؤلفات كثيرة، وتفرغ للتدريس والتأليف وتحقيق التراث. وبالرغم من نضجه العقلي ومعايشته لفترة مخاض الحركة الإصلاحية في المشرق والتوسع الاستعماري في المغرب العربي، ثم يقظة الشعوب بعد مؤتمر الصلح، والثورة البلشفية (١٩١٧)، ومبادئ ويلسن (١٩١٨)، وبروز حركة الأمير خالد في الجزائر ١٩١٤-١٩٢٣، وتقديم الشأن للعرائض، فإن ابن أبي شنب لم يترك أثارًا كتابية أو مواقف سياسية من الاستعمار ومدافعًا عن القضية الوطنية. هذا اللغز حير الكثير من الباحثين تجاه شخصية جزائرية حاملة للعلم والفكر والثقافة تعمل في

سكوت وسلبية إزاء مصير الأمة الجزائرية وهي قابعة تحت نير الاستعمار.[27]

ألف ابن أبي شنب في الأدب والعروض والمنطق، وتحقيق النصوص والتعريف بالإجازات والتراجم، وكان متمكنًا في اللغات الشرقية والأوروبية. وما حدث من أحداث مثل التجنيد الإجباري، وظهور الجرائد والنوادي والجمعيات والعرائض، واحتلال ليبيا والمغرب، وزيارة الشيخ محمد عبده، لم نعرف لابن شنب أي نشاط خارج التعليم والتأليف في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر المعاصرة[28]. وعند وفاه ابن أبي شنب سنة ١٩٢٩ نعاه الرأي العام الجزائري والفرنسي، وأبنه تلميذه جورج مارسيه وركز على ولاءه لفرنسا وتصنعه في الاحتفاظ باللباس العربي وعن تدرجه في الوظيفة ذكر بأنه في العشرينيات من عمر كان مدرسًا بالمداس الشرعية، وفي الثلاثينيات أستاذ بكلية الآداب، وفي الأربعينيات دكتوراه في الآداب وأستاذ جامعي.

لقد وقع رئيس الجمهورية الفرنسية سنة ١٩٢٧ أمريه تنص على تعيين ابن أبي شنب أستاذ اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الجزائر وهذا بتزكية من وزير المعارف هيريو(Herriot)[29]. وقد أبنه هنري ماسيه بقوله: "إن ابن شنب كان مثال "التآلف الفرنسي- الجزائري في الجزائر."[30] وهذه شهادة من مستشرق فرنسي في شخصية جزائرية فذة.

سجل أبو القاسم سعد الله وصفا عن ابن أبي شنب: "ليس ضروريًا أن يمارس المرء السياسة ولكن من الضروري أن يكون له موقف منها، وقد عرفنا أن ابن أبي شنب قد اتخذ من الوجهة الوطنية، موقفًا تمثل في محافظته على هندامه العربي الإسلامي وسط دعاة الاندماج الظاهري والباطني، كما تمثل في حرصه على نفض الغبار عن أكبر نصيب من المؤلفات العربية الإسلامية التي أنتجها الجزائريون أيام الحكم الإسلامي الزاهر. كما كان في المحافل العلمية الدولية". [31] وعند التعليق على أعمال ابن أبي شنب من طرف سعد الله بأنه صنيعة الاستشراق الفرنسي، أسلوبا عندما يكتب، وتحركا في دائرة التراث بما يخدم أهدافهم، لم يعجب هذا الوصف أحد أقارب ابن أبي شنب فرد سعد الله عليه بما كتبه عنه المستشرق ألفرد بيل الذي كان تلميذا لابن شنب.[32]

لقد جاء في كلمة تأبين بيل ما نصه: "كان ابن أبي شنب وطني المظهر فرنسي المخبر، وأن فرنسا كانت تثق فيه وترسله في مهمات دقيقة، ولذلك كافأته بالأوسمة ورموز الاعتراف بالجميل، وشرفته برئاسة العلوم الإسلامية لشمال أفريقيا في مؤتمر المستشرقين بأكسفورد سنة ١٩٢٢."[33]

يُعَدَ أول باحث جزائري اهتم باللغات وبالترجمة، وبالتالي بالانفتاح على آداب الشعوب الأخرى، دراسة وتعليما وترجمة. ولا يمكننا الحديث عن تدريس الأدب المقارن بدون الرجوع إلى اجتهاداته لأنه كان الوحيد القادر على الإنتاج في ميدان الأدب المقارن. ونظم الشعر ونشر الدراسات العديدة ومنها ما هو في صميم الأدب المقارن، كالدراسة التي نشرها في «المجلة الإفريقية» سنة ١٩١٩ بعنوان: "الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية لدانته"[34].

كان محمد بن أبي شنب صورة الأديب والعالم المسلم الذي عرف كيف يطلع على الأساليب الأوروبية في العمل دون أن يفقد شيئًا من صفاته وعاداته، وأورثته سعة علمه زهدا وتواضعا ورغبة في تلبية كل طالب علم قصده في مسألة أو قضية.ولم ينقطع ابن أبي شنب عن الدراسة والتحقيق وإلقاء المحاضرات في قاعات الدرس حتى وفاه الأجل المحتوم عن عمر يناهز ٦٠ سنة وهذا يوم الثلاثاء ٢٦ من شعبان ١٣٤٧ ه الموافق لـ ٠٥ فبراير ١٩٢٩ م وهذا إثر مرض أدخله المستشفى "مصطفى باشا".

ووري التراب رحمه الله بمقبرة سيدي عبد الرحمن بالجزائر العاصمة[35]. ويصف لنا الشاعر محمد السعيد الزاهري حادثة تعرفه على الشيخ ابن أبي شنب بقوله: كانت أول معرفتي بالشيخ أني كنت سنة ١٩٢٢م وأنا يومئذ لا أزال أطلب العلم في الكية الزيتونية وجاءتها لجنة في تلك السنة من العلماء الفرنسيين لامتحان طلبة البكالوريا في تونس. وكانت هذه اللجنة تحت إشراف الدكتور أبي شنب فاستغرب الناس في تونس أيكون عالم جزائري غير متجنس بالجنسية الفرنسية رئيسًا مشرفًا على لجنة علمية فرنسية يرأس جلساتها بملابسه وبزيه الجزائري وتعالم الناس الخبر فسمعته أنا وفرحت به وداخلني يومئذ شيء من النخوة والكبرياء وجمعت نفرا من إخواني الطلبة الجزائريين وذهبنا نزوره سألته: كيف تصنع إذا أدركت الصلاة وأنت في جلسة رسمية؟ فقال: أوقف الجلسة للاستراحة فيستريح زملاؤه بخطوات يمشونها ودخائن يشعلوها وأستريح بأداء المكتوبة. [36]

مساهمة سعد ابن أبي شنب (١٩٠٧-١٩٦٨)

أصبح أستاذًا بمدرسة المدية ما بين ١٩٣٠-١٩٣٨ ثم أستاذا بمدرسة الجزائر ما بين ١٩٣٨-١٩٤٧، فدرس الآداب واللغة العربية والتاريخ؟ ثم درس الأدب العربي الحديث في المعهد العالي للدراسات الإسلامية العليا. في سنة ١٩٤٤ تحصل على الجائزة الأولى للأدب بالجزائر حول الشعر العربي وروايات جزائرية. انتقل للتدريس في المدارس الفرنسية الإسلامية بالجزائر ما بين (١٩٥١-١٩٥٤). ثم أستاذ مساعد بجامعة الجزائر ما بين (١٩٥٤-١٩٥٧).

هاجر إلى تونس سنة ١٩٥٧ وحكمت عليه المحكمة العسكرية الاستعمارية بالسجن مدة ٢٠ سنة مع الأشغال الشاقة، في سنة ١٩٦٢٥ عمل أستاذ محاضر بجامعة الجزائر ثم عميد جامعة الجزائر ما بين (١٩٦٤-١٩٦٧)[37] من أثاره الأدبية حكايات الجزائر (١٩٤٦) الشعر العربي الحديث (١٩٤٥) والعديد من الدراسات أهمها التي نشرت بالمجلة الأفريقية: الوداع لشهر رمضان: وهي دراسة تضمن ما كان يردده الجزائريون خلال شهر رمضان من تلاوة القرآن الكريم واستظهار صحيح البخاري. وفي صبيحة عيد الفطر كان الجزائريون يرددون مدائح لسيدي عبد الرحمن الثعالبي وربما هي قصيدة وجدت في أرشيف الأوسكوريال بمدريد تنسب لابن الجوزي (٥١٠-٥٩٧هـ/١١١٦-١٢٠٠م) موسومة بـ: وداع شهر رمضان المعظم.[38]

وهناك دراسة أخرى بعنوان الأغاني الساخرة بالجزائر، قام بترجمتها إلى اللغة الفرنسية مع الشرح والتعليق.[39] ودراسات أخرى في الأدب العربي الحديث[40]. أما الدراسة الثالثة فهي عقد بيع بمدينة الجزائر مستخرج من وثائق سجلات المحاكم الشرعية العثمانية وهي أول دراسة يقوم بها جزائري تعود إلى سنة ١٦٤٨م[41] والأغاني من الأرجوحة[42]. ودراسة بعنوان بعض المؤرخين المحدثين بالجزائر، ففي هذه الدراسة بين إسهامات المؤرخين الجزائريين الأوائل في كتابة تاريخ الجزائر من وجهة نظر جزائرية بدأت مع رحلة الحب لابن عمار(١٩٠٢)، والبستان لابن مريم (١-٠٧)، ورحلة الورثلاني (١٩٠٨)، وعنوان الدراية للغبريني (١٩١٠) وهي إسهامات قام بها كل من محمد ابن أبي شنب، ومبارك الميلي في تاريخ الجزائر في القديم والحديث (١٩٢٩)، وكتابات أحمد توفيق المدني وعبد الرحمن الجيلالي في التاريخ العام للجزائر.[43]

إسهامات الرشيد بن أبي شنب

ساهم الرشيد (١٩١٥) في الكتابة بالمجلة الأفريقية بسلسلة من المقالات، وهي: نصوص عربية بالجزائر وهي عبارة عن قصص حول روحانيان الجزائر ومذكرات زوالي بمدينة الجزائر وصور القصبة في المخيال الشعبي[44]. أما الدراسة التالية فهي اللهجة العامية بمدينة الجزائر.[45] أما الدراسة الأخيرة فهي ثلاث قصص للصيد من منطقة المدية.[46] ترك الرشيد دراسة قيمة موسومة بـــ:

Les fêtes religieuses et populaires dansl'Islam (1965)

عائلة ابن أبي شنب استحقت شعار علماء جزائريون يقاومون بلغة المحتل من خلال: التكوين، التدريس، النشاط علمي، ثقافة مزدوجة، حضور فكري مميز، تحقيق تراث الجزائر.

خَاتِمَةٌ

من خلال هذه الدراسة تبين أن عائلة ابن شنب ساهمت إلى حد كبير في التعريف بالتراث الجزائري خلال الفترة الاستعمارية من إنتاج فكري في حقول العلوم الإنسانية وتحقيق المخطوطات الجزائرية والمغاربية. وقد كرس ابن شنب حياته في تحقيق التراث الجزائري والمغاربي رفقة ألمع وجوه الاستشراق الفرنسي خلال الفترة الاستعمارية، أمثال رونيه باصيه والإخوة مارسيه وألفرد بيل وغيرهم من وجوه الاستعراب الفرنسي.

جمع ابن أبي شنب بين الثقافتين العربية والأوروبية، وأتقن اللغتين العربية والفرنسية، وألم باللغات الأجنبية عديدة، مكنته من ترك بصماته الإبداعية في عديد المؤتمرات التي كلفته الإدارة الاستعمارية بتمثيلها. ترك ابن أبي شنب بحوثًا كثيرة منشورة في الدوريات العلمية الرصينة، الشرقية والغربية، وعددا كبيرا من المصنفات المختلفة والمفيدة في الدراسة الأدبية والتحقيق والفهرسة والبحث الميداني باللغتين العربية والفرنسية.

ما يلاحظ على بحوث عائلة ابن شنب غلبة البعد التراثي على كتاباتهم في جميع الدراسات المنشورة في المجلة الإفريقية. عمل ابن أبي شنب في صنع فهارس المكتبات التي تحوي مخطوطات عربية سواء في الجزائر أو المغرب وهذا تحت إشراف الإدارة الاستعمارية، ولم يخرج في كل بحوثه عن المنهج العلمي الرصين، فأسدى للثقافة العربية بذلك خدمة جليلة بإخراج تراثها من ناحية، وبتصويب رأي المستشرقين فيها من ناحية ثانية. ومن هنا جاز لنا القول بأن عائلة ابن أبي شنب استحقت شعار علماء جزائريون يقاومون بلغة المحتل من خلال: التكوين، والتدريس، والنشاط علمي، والحضور الفكري المميز، والتحقيق لتراث الجزائر.

ملحق[47]

جاء في الدائرة المصغرة للجزائر لصاحبها عاشور شرفي عن حياة ابن أبي شنب ما نصه: "محمد ابن العربي ابن محمد أبي شنب رجل ثقافة وأكاديمي ولد في ٢٦ أكتوبر ١٨٦٩ بعين الذهب بولاية المدية. درس مبادئ اللغة العربية والفرنسية في المدرسة العربية الفرنسية بالمدرسة الشرعية بالجزائر العاصمة سنة ١٨٨٦ وتحصل على شهادة مدرس في جويلية سنة ١٨٨٨. في سنة ١٨٩٢ تقلد وظيفة مدرس مساعد في مدرسة الفتح بالقصبة،

وخلال هذه المرحلة تعلم اللغة العبرية في الثانوية على يد الشيخ عبد الحليم بن سماية (١٨٦٦-١٩٣١).

تحصل على شهادة اللغة العربية من مدرسة الآداب بالجزائر سنة ١٨٩٤ والباكالوريا سنة ١٨٩٦. خلف شيخه ابن سديرة بنفس المدرسة ثم عين أستاذا بمدرسة الكتانية بقسنطينة مدة ثلاث سنوات ثم خلف منصب الأستاذ الأشرف بمدرسة الثعالبية بالجزائر. تزوج في ١٩٠٣ من السيدة حورية كاتب ابنة الإمام الثاني للمسجد الكبير بالعاصمة، ورزق منها بـ ٩ تسعة أولاد أربع فتيات وخمسة ذكور أشهرهم سعد الدين ابن أبي شنب (١٩٠٧-١٩٦٨) الذي نشر أعمالاً في المجلة الإفريقية في الآداب والتاريخ عين هذا الأخير أستاذًا بمدرسة الآداب بالجزائر (١٩٣٨-١٩٤٧)، وتحصل خلال هذه المرحلة على جائزة الآداب بالجزائر سنة ١٩٤٤بعنوان الشعر العربي والروايات الجزائرية. كما أصبح أمينًا عامًا للدراسات الإسلامية العليا سنة ١٩٥٦. انتقل إلى تونس سنة ١٩٥٧ للتدريس وحكمت عليه المحكمة العسكرية الاستعمارية بالحبس مدة ٢٠ سنة مع الأشغال الشاقة. بعد الاستقلال تقلد مهام عميد جامعة الجزائر (١٩٦٢-١٩٦٥).

في سنة ١٩٠٨ وظف بجامعة الجزائر وعين أستاذا للأدب العربية حيث أصبح أول جزائري منذ ١٩٢٠ في مجمع اللغة العربية بدمشق، وهو أول جزائري تحصل على شهادة الدكتوراه في الشعر الأندلسي (أطروحته حول أبوديلمة)، وأول جزائري ترأس لجان الامتحانات في المؤسسات الكبرى الفرنسية وشمال أفريقيا. كما شارك في عديد اللجان والملتقيات العلمية العالمية. أطر ابن أبي شنب تلاميذ في مجال الإدارة والترجمة. ترك العشرات من المؤلفات بالعربية والفرنسية في الأدب والتاريخ والترجمة واللسانيات. في سنة ١٩١٠ اكتشف عنوان الدراية للغبريني الذي يؤرخ لعلماء بجاية. راسل علماء كثيرون أمثال بلاثيوس الإسباني وقريفيني الإيطالي وأحمد تيمور المصري وكراتشيفوسكي الروسي.

اختص في علوم القرآن والحديث والشعر الشعبي والتراجم واللهجات الدخيلة في اللسان الجزائري من أصول تركية وفارسية. نشر رحلة الورتيلاني ونفح الأزهار لعبد الرحمن ابن مجدوب تم رسمه من طرف الفنان عمر راسم. توفي في ٧ فبراير ١٩٢٩ بسبب عملية جراحية غير ناجحة. وفقد أبنه عبد الرحمن الجيلالي في ذكرى الشيخ سنة (١٩٣٣) وDagher في كتابه عناصر بيبليوغرافية في أدب الجزائر بيروت سنة ١٩٣٦.

الهَوامِشُ:

(1) أبو القاسم، سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦، ج٤، ص ١٥٦-١٥٨.

(2) المرجع نفسه، ص ١٥٦.

(3) تأسست المدارس الإسلامية الحكومية أو المدارس الشرعية الثلاث (قسنطينة-الجزائر-تلمسان)، بموجب مرسوم ٣٠ سبتمبر ١٨٥٠، تختص بالدراسات الهادفة إلى تكوين وتخريج موظفين تحتاجهم الإدارة الفرنسية كالمفاتي والعدول والتراجمة ومعلمي اللغة العربية. وكان المشرفون على هذه المدارس مستشرقون فرنسيون، كان الهدف منها تكوين فئة متعلمة من الجزائريين تلعب دور الوسيط بين السكان والإدارة الاستعمارية قد أورد الحاكم العام راندون (١٨٥١-١٨٥٨)، ما نصه: "فمن هذه المدارس يخرج الموظفون الإداريون والقضاة وبكلمة أعم الشخصيات التي لها تأثير على السكان حتى لا يفلتوا من قبضتنا". للمزيد، انظر:- عبد القادر، حلوش، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، ط١، شركة دار الأمة، ١٩٩٩، ص ٥٩-. كمال، خليل، **المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور (١٨٥٠-١٩٥١)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص٦٩-٧٦.

(4) أبو القاسم، سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨، ج٣، ص٣٩٧.

(5) نفسه، ص٣٨٩-٣٩١.

(6) Bel, Alfred, «René Basset», In, R.A, n°65, 1924, Pp.12-19.

(7) عبد الرحمن، الجيلالي، **محمد بن شنب: حياته وتراثه في تاريخ الجزائر العام**، ١٩٦٤، بيروت، ١٩٦٥، ص٣٤.

(8) MARCAIS, Georges, Ben Cheneb (1869 + 1929), R.A, n°70, 1929, pp. 150-159

(9) المجلة الإفريقية لسان حال الجمعية التاريخية الجزائرية التي تأسست في ٧ أبريل ١٨٥٦ بالعاصمة بأمر من الحاكم العام راندون، توقفت المجلة عن الصدور مابين ١٩١٤-١٩١٨، لتواصل مشوارها البحثي إلى غاية ١٩٦٢، اعتبرها غوستاف ميرسييه: مكتبة تاريخية في حد ذاتها. صدر منها ١٠٦ عدد إلى جانب الكتب والمنشورات وأعمال المؤتمرات. يرجى العودة إلى: أبو القاسم، سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٦، ص٩٦-٩٧.

(10) BEN CHENEB, MOHAMMED, «Revue des ouvrages arabes édités ou publiés par les Musulmans en 1322 et 1323 de l'hégire (1904-1905)», R.A, °50, 1906, pp. 261-296.

(11) BEN CHENEB, MOHAMMED, «Notions de pédagogie musulmane. Résumé d'éducation et d'instruction enfantine», R.A,n°41, 1897, pp. 267-285.

(12) BENCHENEB, Mohamed, «Itinéraire de Tlemcen à la Mekke par Ben Messaib», R.A,n°41, , 1900, pp. , 261-282.

(13) BEN CHENEB (M.), « Origine du mot Châchiyya », R.A, n°51, 1907, pp. 54-56.

(14) BEN CHENEB (M), « La guerre de Crimée et les Algériens par le cheikh Sidi Mohammed ben Ismâ'îl », R.A, n°51, 1907, pp. 169 -222.

(15) حول هذه الحرب راجع: محمد سهيل، طقوس، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، ط٢، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٣٧٨-٣٩٢

(16) BENCHENEB (M), «Notice sur deux manuscrits sur les chérifs de la Zâwiya de Tamesloûhet», In, R.A, n° 52, 1908, Pp. 105-114.

(17) BEN CHENEB (M), «Poème en l'honneur du Prophète», In, R.A, n° 54, 1910, Pp.182- 190.

(18) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، (تقديم: إحسان عباس)، ط٢، بيروت: دار صادر، ج٨، ص ٤٦٠.

(19) BEN CHENEB(M), «Observations sur l'emploi du mot Tellis: son origine», In, R.A, n°56,1912, Pp.566-570.

(20) BEL (A.) et BEN CHENEB, M, «La préface d'Ibm El-'Abbàr à sa Takmila-t essila», texte arabe et traduction française, In,R.A,n°., 59, 1918, Pp. 306-335.

(21) BEN CHENEB (M), «Liste des abréviations employées arabes», In, R.A, n°, 61, 1920, Pp. 134-138. par les auteur

(22) BENCHENEB(M), «La préface d'Ibn El-Ahbâr à sa Takmila-t-es-Sila», In, R.A, n°, 64, 1923,p p. 163-164.

(23) BEN CHENEB, M, «Du nombre trois chez les Arabes», In, R.A, n°.67, 1926, pp. 105 178.

(24) Ben Cheneb, Mohammed, Catalogues des manuscrits arabes conservés dans les principales. Bibliothèques algériennes : Grande mosquée d'Alger, Alger : A. Jourdan, 1909, P.128.

(25) BEN CHENEB(M) et LEVI-PROVENCAL (E.), «Essai de répertoire chronologique des éditions de Fès», In, R.A.,n°62, 1921, pp. 158-173/pp. 275-290; n°63,1922, pp. 170-185, 333-347.

(26) Massé, Henri, «Les Etudes arabes en Algérie (1830 - 1930)», In, R.A, n°74,1933, p.244.

(27) أبو القاسم، سعد الله، **أبحاث**، ص ١٥٩.

(28) أبو القاسم، سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٨، ص١٧٢.

(29) MARCAIS (G.), op.cit, p.151.

(30) أبو القاسم، سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٨، ص١٧٢.

(31) أبو القاسم، سعد الله، **أبحاث...**، المرجع السابق، ج٤، ص ١٦٠. وأيضًا: الرشيد بن أبي شنب، "**تعقيب على مقال حول الفقيد محمد ابن أبي شنب**"، مجلة الثقافة، العدد ٦٥، سبتمبر-أكتوبر ١٩٨١، ص٧٧-٨٠.

(32) نفسه. وأيضًا: أبو القاسم، سعد الله،" "**من رسائل محمد بن أبي شنب إلى محمد كرد علي**"، مجلة الثقافة، العدد ٥٣، سبتمبر-أكتوبر ١٩٧٩، ص٤١-٥٠، وأيضًا ألفريد، بيل، "**محمد بن أبي شنب**"، ترجمة: عائشة نمار، مجلة الثقافة، نفسه، ص٣١-٤٠.

(33) BEL, Alfred, «Nécrologie: Mohamed BEN Cheneb» n°214, Avril- Juin, 1929, Pp.359-365.

(34) Ben Chneb, Mohamed, «Sources Musulmanes dans la Divine», In R.A,n°60,1919,pp.483-493.

(35) عادل، نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، بيروت: مؤسسة نويهض الثّقافيّة، ط٢، ١٤٠٠-١٩٨٠، ص١٨٩-١٩١.

(36) **محمد السعيد الزاهري**: من مواليد ١٨٩٩ بليانة بسكرة في الجزائر درس في قسنطينة وتتلمذ على يد الإمام عبد الحميد بن باديس. انتقل إلى تونس وأصدر عدة جرائد وهي: الجزائر والبرق والوفاق، وأسس المدرسة الإصلاحية وكان من علماء الجزائر المهمين من مؤلفاته: حاضر تلمسان بين النخيل والرمال شؤون وشجون وغيرها توفي سنة ١٩٥٦. انظر: صالح، الخرفي، **سلسلة في الأدب الجزائري الحديث**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط١، ص١٠٩. وأيضًا: محمد السعيد الزاهري – محمد بن أبي شنب – مجلة المقتطف – نوفمبر ١٩٢٩م.

(37) Cheurfi, Achour, Petite Encyclopédie de l'Algérie,2ditions Dalimen,,Alger,2013,VI,pp.585-587.

(38) ENCHENEB (S.), L'adieu au mois de Ramadân, Rev. af., 73, 1932, p. 104-115.

(39) BENCHENEB (S.), Chansons satiriques d'Alger (1ère moitié du XIVe siècle de l'Hégire), Rev. af.,74, 1933, p. 75-117, 296-352.

(40) BEN CHENEB,(S) Études de littérature arabe moderne, Rev. af., 83, 1939, p. 358-382/ Rev. af., 84, 1940, p. 77-92.

(41) BENCHENEB, Saâdeddine, Un acte de vente dressé à Alger en 1648, , Rev. af., 89, 1945, p. 287-290.

(42) Saâdeddine BENCHENEB, Chansons de l'escarpolette, Rev. af., 89, 1945, p. 89-102.

(43) BENCHENEB,S, Quelques historiens arabes modernes de l'Algérie, In,RAn° 100, 1956, p. 475-499.

(44) BENCHENEB, Rachid, Textes Arabes d'Alger, Rev.af,88, 1944, pp.122-140./Rev. af., 87, 1943, p. 219-243.

(45) BENCHENEB,R, L'argot des Arabes d'Alger, Rev. af., 86, 1942, p. 72-101.

(46) BENCHENEB ,R, Trois récits de chasse de la région de Médéa, Rev. 4-af., 90, 1946, p. 184-193.

(47) Cheurfi, Achour, Petite Encyclopédie de l'Algérie,2ditions Dalimen,,Alger,2013,VI,p.585.